في لحظةٍ من الانطفاء الدَّاخلي، تبرزُ الكتابة كفِعلٍ وجودي، كصَرخةٍ ضِدَّ التلاشي.

لكِن، ماذا يحدُث حين تُصبِح اللُّغة نفسَها خائفة؟ حِينَ تَتبعثَرُ الحروف قبلَ أن تُلامس الورق؟ هل هُنا تُصبح الكتابة فِعلُ خلاص، أم مِرآةً تَعكس هشاشة الذَّات أمامَ الحقيقة؟

التساؤلاتُ هنا حولَ عِدّة إشكاليات، منها: هَل يُمكن لِلُّغةِ أن تخونَ صاحبها؟ وهل الكِتابة قادرةٌ على احتِواء الحقيقةِ، أم أنها ستَتهرَّبُ مِنها عِندما تُمنَح الفرصة؟ كيف يمكِنُنا فَهمُ العلاقةِ بين التَعبير والكَينونة، بَين الحَرفِ والهُوية؟

بعد التحليل نحصُل على ***عدّة نقاط***:

١ -الكتابة كفعلٍ وجودي:

الكِتابةُ لَيست مُجرد وسيلةَ تواصُل، بَل هي امتدادٌ لِلذات، أو مُحاولةٌ لِترسيخ الوجود في عالمٍ مُتغيِّر. في الفِكر الوجودي، الإنسانُ لا يُعرَفُ مِن خلالِ جوهرٍ ثابِت، بل مِن خلالِ أفعالِه واختياراتِه. والكتابةُ في هذا السّياق، هي فِعلٌ حُر، تَعبيرٌ عن الذّات في لحظة وَعي، مُحاولةٌ لترسيخِ الوجود فِي عالمٍ مُتقلِّب، ورُبما غَيرُ مُبال.

هِيَ طريقة للقول:" أنا هُنا، أشعر، أفكر، أقاوم" .

الفيلسوف **سارتر** رأى أن الإنسان "محكومٌ عليه بالحريّة"، أي أنهُ مسؤولٌ بِشكلٍ كامِلٍ عن تشكيلِ ذاتِه مِن خِلال اختياراته. ففي روايتِه "الغثيان" صوَّر الكتابة كوسيلةٍ لفهم الذاتِ ومواجهةِ العبث الذي يشعرُ به بطل الرّواية أمامَ العالم المادّي. ونرى هُنا أن الكتابة عند سارتر لَيست ترفًا أو هوايةً يُمارِسُها الفرد، بل مسؤوليةً أخلاقية؛ لِأنها تعكس موقفًا من العالم، وتُسهِمُ في تغييره.

أما **كامو**، ففي فلسفته العبثيّة، يرَى أن الحياة لا تُقدِّم لنا معنىً جاهزًا، وأن الإنسانَ يصطدم بصمتِ الكون. ولكنّهُ لا يَدعو إلى التذمُّرِ والاستسلام، بل إلى التمرّد الواعي، والكِتابة، برأي كامو، هي أحدِ أشكال هذا التمرد.

"لا شمس بلا ظل، ومن الضروري معرفة الليل" ، كامو .

٢ -خوفُ اللُّغة :

في كتابةِ الرّسالة المنطقيّة الفلسفيّة، طرَح **فتغنشتاين** تصوُّرًا صارمًا لِلُّغة، خُلاصتهُ أن اللُّغة تُصوِّر الواقع من خلال بُنيةٍ منطقية، وأن الجُملة التي لها معنى يُمكن أن يُعاد صياغتها بمَعنىً أوضح، أما ما لا يُمكن التعبير عنهُ بوضوح، فهو يقعُ خارجَ حدودِ اللُّغة، وبالتّالي نستنتج أنّه يقع أيضًا خارجَ حدودِ الفِهم.

"مالا يمكن الحديثُ عنه، يجب الصمتُ حياله" ، فتغنشتاين.

عندما نقولُ إن اللُّغةَ خائفة، فنحنُ نمنحها طابعًا حيًا، وكأنها تمتلِكُ وعيًا يتهرَّبُ من مواجهة ما هُو مؤلم أو غير قابلٍ للتسمية. وهذا يعارض تمامًا ما قاله **فتغنشتاين**، الذي رأى أن الحقائق، المشاعر، القيم، أو حتى المواقف الرُّوحية، لا يمكن لِلُّغةِ المنطقية أن تحتويها لأنها ليست واقعًا يمكن تصويره، ولِأنها تتجاوز قدرةُ اللُّغةِ على

التمثيل. نستَخلِص من ذلكِ أن فكرة "خوف" اللُّغة أو "هروبها" تتناقض مع تصوُّر **فتغنشتاين**؛ لأنها تفترضُ أن اللُّغة ليسَت فقط أداة، بل هي كيانٌ حسّاسْ، يتأثرُ بالحقيقة التي يُفترض أن ينقلها .

٣ -الحقيقةُ التي لا تُسمى:

هل الحقيقةُ تُخيف اللُّغة؟ وهل الصمت أحيانًا أصدقُ من القول؟

بعد تحليل جوانِب هذا السّؤال، نُترَكُ مع **عِدّة نقاط**:

هل الحقيقةُ تُخيف اللُّغة؟

- أولًا: الحقيقةُ عندما تكون عاريةً تمامًا من المجاز، قَد تُهدِّدُ صورةَ الذات التي نُحاول حمايتَها بِالكلماتِ والتَّبريرات .
- ثانيًا: اللُّغة، رُغم قدرتها على التجميل والتأويل، قد تعجزُ عن احتواءِ الألمِ الصّافي، أو الخوف العَميق، أو الحب الذي لا يُقال.

في هذه الحالة، لا تتراجعُ اللغة لأنها ضعيفة، بَل لأنها تُدرك حدودها، وتَترُك المجال لصمتٍ أكثر صدقًا .

وهل الصمت أحيانًا أصدقُ من القول؟

بحسب **الدكتور معراج أحمد الندوي**، الصمتُ في الثقافةِ العربية ليس مُجرّد امتناع عن الكلام، بل هو لُغةٌ موازية، تحمِل في طيَّاتها حكمة، ودرءًا للمفاسد، وقدرةٌ على التعبير تفوق أحيانًا الكلمات.

"الصمت هو جزءٌ من الخِطاب، لا يُمكن الاستغناء عنهُ، لما فيه مِن فوائد تُغذي اللُّغة وتؤمِّن التواصل وتُضيء المعنى" ، د. معراج أحمد الندوي.

الصمت لا يناقض اللُّغة، بل يُكملها . هو المساحة التي تتنفَّس فيها الحَقيقة حينَ تضيق بها الكلِمات . وربَّما، في لحظةِ صدقٍ، يكون الصمت هو اللُّغة الوحيدة التي لا تخُون.

وأخيرًا:

إنّ الكتابة، رغم كَونها فعلًا مقاومًا، ليسَت دائمًا ملاذًا آمنًا لِلحقيقة. بل قد تكونُ ساحةَ ارتباك، حيث اللُّغة نفسها تتردّد، تتبعثَر، وتخونُ ما نُريد أن نقول.

تُعتبر الكتابةُ هنا فِعلُ مقاوَمة، فحينَ يشعر الإنسان بالانطفاءِ الداخلي، يتَّخذ الكتابةَ وسيلة للنجاة، ومحاولةً لترسيخ الذّاتِ في وجهِ التّلاشي. هُنا تعتبر الكتابةُ أيضًا فِعل استعادة، لا مُجرَّد توثيقٍ لما يمرُّ بهِ الفرد، تُعتبر محاولةً لإعادة تشكيل العالمِ مِن خلال الأحرُف.

حينَ نأتي للحقائق، فليس كلُّ حقيقةٍ قابلةٍ للقول. هناكَ مشاعِر، تجارب، ومضاتٌ داخلية تتجاوز قُدرة اللُّغة على الاحتواء، فمهما بلغَت اللُّغة من بلاغةٍ، تظلُّ محدودة أمام التّجارب الإنسانية التي لا تُختزل في كلمات.

في بعضِ اللّحظاتِ كالألم، الحُب، الفَقد، أو حتّى الإدراك المفاجِئ، قد ترتجِف اللُّغة، وتختار التّبعثُر والهروب بدلًا من المواجهة، هذا لا يعني ضعفها، بل يدلُّ على أنّ بعض المعاني لا تُقال، ولا يُعبّرُ عنها، بَل تُلمّح.

مِن وجهةِ نظري، الكتابةُ ليست ضمانًا للنجاة، لكِّنها محاولةٌ نبيلة لِلمحافظة على الذّات. وحينَ تتبعثرُ الحروف، لا يعني ذلك فشلُ اللُّغة، بل يدلُّ على عمقِ ما يحاول الإنسانُ التعبير عنه .

فبعضُ الحقائقِ لا تُكتَب، بل تُعاش، وتُحَسّ، وتُصمت.

-رَايْ.